دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي
بين التبعية والموضوعية

دكتور/ ظافر الشهري*

يقتضي الحديث عن دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي بين التبعية والموضوعية الوقوف على تعريف الاستشراق في معناه العام والخاص، فلفظة "الاستشراق" هذه تناولتها بعض الدراسات في عصرنا الحاضر، ولايزال الباحثون العرب يهتمون بالاستشراق، وجهود المستشرقين في ثقافتنا ووعينا الفكري. فما الاستشراق إذن؟.

إن الاستشراق كما يعرفه بعض الدارسين العرب المعاصرين في معناه العام يعني علم الشرق، أوهو علم العالم الشرقي، ويطلق على فئة من العلماء من أمريكا وأوروبا وروسيا، كرست وقتها وجهدها لدراسة تراث العرب لأهداف وأغراض متعددة(١).

والاستشراق في معناه الخاص قد ينصرف إلى الدراسات الغربية التي تناولت الشرق الإسلامي، واهتمت بآدابه ولغاته وعقائده وتاريخه(٢).

أو هو انصراف بعض العلماء الغربيين، أو الأمريكيين، أو الروس إلى دراسة الشرق وأحواله والغوص في تاريخ وثقافة وتقاليد شعوبه في غابر أيامها وحاضرها(٣).

وقد بدأ المشتشرقون نشاطهم واهتمامهم بالشرق العربي منذ بدايات القرن الرابع عشر الميلادي، فأنشأوا عدداً من كراسي اللغات الشرقية، ومن أهمها اللغة العربية في بعض الجامعات الغربية والأمريكية استجابة لقرار المجمع الكنسي بفينا سنة ١٣١٢م (٤) ثم توالى إنشاء هذه الكراسي تباعاً. وقد يكون نشاط المستشرقين بدأ قبل هذا التاريخ إثر دخول الإسلام إلى الأندلس، وخضوع تلك البلاد للحكم الإسلامي العربي، بخاصة في القرن الرابع الهجري في عهد عبدالرحمن الثالث، حيث ازدهرت الأندلس في شتى المجالات وانفتحت على العالم من حولها (٥). والأندلس تعد في حقيقة الأمر إحدى الطرق التي اتصل المستشرقون عبرها فيما بعد بالتراث العربي، ومع هذا

---

* كلية التربية ـ قسم اللغة العربية ـ جامعة الملك فيصل ـ السعودية.

لم يظهر لفظ مستشرق ومفهومه في أوروبا إلا في نهاية القرن الثامن عشر عندما ظهر في إنجلترا سنة ١٧٧٩م، وفي فرنسا سنة ١٧٩٩م، وأدرج مفهوم الاستشراق في قاموس الأكاديمية الفرنسية في عام ١٨٣٨م(٦).

عندما نبحث في الفترة الزمنية لظهور الاستشراق، ونشاط المستشرقين فإن ذلك يفضي بنا إلى القـــول: إن القرنين التاسع عشر والعشرين يعدان بكل المقاييس التاريخية والأدبية عصر الازدهار الحقـــيقي للاستشـــراق، وليس من المغالاة إذا قلنا: إن المستشرق الفرنسي "البارون دي ساسي" (١٧٥٨-١٨٣٨م) Sacy,S.de. هو إمام المستشرقين حينئذ(٧).

ولكـــن هـــل الاستشراق نشاط سياسي يتصل بأهداف المستشرقين في المقام الأول؟. وبذلك تتضح التبعية في توجهات هؤلاء المستشرقين، أو أنه نشاط ثقافي علمي بحت؟. وهنا تأتي الموضوعية المطلوبة في الباحث.

إن الإجابـــة عـــلى هذين التساؤلين تفرض علينا أن ننظر في أهداف المستشرقين من الناحية التاريخـــية والعلمية، وعمل كهذا قد يقف بنا على آراء متعددة للباحثين في هذا السياق، فبعضهم يـــرى أن الاستشراق لاينفك عن التبعية سواء أكانت سياسية أم عقدية أم استعمارية ، بينما يرى آخرون أنه اتجاه ثقافي معرفي يمثل الخلفية الفكرية للصراع الحضاري بين الشرق والغرب(٨).

ومـــن هنا نجد أنفسنا أمام سؤال لابد من الإجابة عليه، مضمونه كيف نتوافق مع أهداف المستشرقين بـــين التبعية السياسية والعقدية والاستعمارية وبين الموضوعية في دراسة الشعر الجاهلي؟. هذا الشعر الذي نـــال نصيباً وافراً من اهتمام المستشرقين ودراساتهم، جمعاً وتوثيقاً ورواية وتدويناً ونشراً. بغض النظر عن تباين وجهات نظرهم في هذا المجال. ووجهات نظر الباحثين العرب حول هذه الدراسات.

نســـتطيع القول: إن الأهداف التي مافتئ أغلب المستشرقين يسعون لتحقيقها - مهما أحسنا الظـــن بهم - من خلال انسياحهم في بلاد الشرق العربي ودراسة لغته وآدابه وتاريخه قد لا تخرج عـــن أهداف يمكن حصرها في الدين، والاستعمار والاقتصاد، وهنا تتأكد التبعية، أما الهدف الذي يمكن أن تجد الموضوعية عند بعضهم طريقاً إليه فهو العلم. وهو الهدف الذي قد يكون مقبولاً لدينا رغم انحراف بعض المستشرقين عن الموضوعية في هذا الجانب.

والبحث في هذه الأهداف مجتمعة أو مفردة، ومدى تبعية المستشرقين لمضامينها يستغرق جهداً ووقتاً، غير أننا في هذه العجالة نجد من الأهمية الإشارة إلى هذه الأهداف بشكل موجز انسجاماً مع عنوان هذا البحث.

لقـــد انفتح أغلب المستشرقين على تراث الشرق العربي بعقلية دينية تعصبية، فكان الدين من أهم الأهداف التي أدت إلى نشأة الاستشراق، وكلنا نعرف حركة العداء التي مورست في الأندلس إبـــان الضعف وأفول الدولة الإسلامية في تلك الديار إلى درجة أن بعض الرهبان حاولوا عبثاً أن يثبتوا أن الإسلام دين لايستحق الانتشار، وأن العرب المسلمين همج ولصوص، وسفاكو دماء.(٩)

أمـــا الهدف الاستعماري، فإنه قد تكشف بعد انتهاء الحروب الصليبية، ثم بعد سقوط الخلافة العثمانـــية حيـــث نكـــث الغرب بكل عهودهم التي قطعوها لمن انخدع بتلك العهود من العرب واســـتعمروا أغلـــب الـــبلاد العربية، وحاولوا التأثير في الهوية الثقافية للأمة، وبخاصة أبناء البلاد المستعمرة، وقد كانت الحروب الصليبية إحدى الطرق أيضاً التي توصل المستشرقون من خلالها إلى دراســـة تراثنا العربي والإسلامي، وقد انحرف كثير من المستشرقين عن أخلاقيات البحث العلمي وابـــتعدوا عن الموضوعية المطلوب توفرها في الباحث، لأهواء استعمارية، بعد انتهاء هذه الحروب الـــتي كانت دينية في ظاهرها، استعمارية في باطنها، حيث سخر بعض المستشرقين جهودهم لخدمة هـــذه الأغـــراض من واقع التبعية والارتباط بين الاستشراق والاستعمار، وقد تجلت هذه التبعية واضـــحة عـــندما تم لهـــم الاستيلاء العسكري والسيطرة السياسية على الشرق العربي، فحاولوا إضـــعاف المقاومـــة الروحية والمعنوية في نفوس أبنائه، كما حاولوا بث الوهن والارتباك في تفكير الناس عن طريق التشكيك بفائدة مافي أيديهم من تراث(١٠).

لقد عكف المستشرقون على دراسة القرآن الكريم والشعر العربي وغاصوا في مضامين التراث العربي والتاريخ الإسلامي، وكان من هؤلاء المستشرقين الذين لم تسلم جهودهم من الأهواء الدينية والاســـتعمارية المستشـــرق الإنجليزي "وليم رايت" (١٨٣٠-١٨٨٩) **Wright, W.** حيث حـــاول في دراســـته عن "النحو العربي" إثبات وجود شعر في القرآن الكريم. وكذلك المستشرق الألمـــاني "جـــريمه.هـــ" (١٨٤٨-١٨٩٢م) **Wright, Aug.** كما ذهب المستشرق الألماني "أوجست ملر" (١٨٤٨-١٨٩٢) **Wuller, Aug.** إلى أن قالب القرآن الكريم من القوالب الشـــعرية، ولكن المستشرق "نلدكه" **Noldeke,** رفض هذه المقولة. ومنهم كذلك المستشرق

الإنجليزي "بالمر" (١٨٤٠ – ١٩٥٥م) Palmer,E.H حيث اشتغل بمسائل السياسة الشرقية(١١). وكذلك المستشرق الإيطالي "روسي" (١٨٩٤-١٩٥٥م) فقد سافر إلى ليبيا ضمن الجيش الإيطالي، وتعلم اللغة العربية، وأسهم في تحرير مجلة الشرق الحديث التي كانت تهتم بأحوال العالم الإسلامي(١٢). ومنهم كذلك "صمويل زويمر" (١٨٦٧-١٩٥٢) Zewemer,S. وهو رئيس المبشرين في الشرق الأوسط، تولى تحرير مجلة العالم الإسلامي التي أنشأها مع المستشرق "دنكان بلاك ماكدونلد" (١٩١١م)، وقد عرف "زويمر" بتعصبه واعتساله لكثير من القضايا وبخاصة مايتعلق بالعلاقات بين المسيحية والإسلام وقد كانت له مصنفات كثيرة في هذا المجال، ولكنها فقدت قيمتها العلمية لنزعته التعصبية(١٣). على أنه بالرغم من كثرة ماكتبه المستشرقون في قضايا اللغة العربية والأدب العربي والشعر منه بشكل خاص، لم نجد بحثاً يمثل سوء المنهج العلمي، خضوعاً للتعصب المقيت ضد العرب وتراثهم أبعد أثراً مماكتبه "مرجليوث" المستشرق الإنجليزي عن الشعر الجاهلي، الأمر الذي يتنافى مع جهود هذا المستشرق في تحقيق المخطوطات العربية ونشرها، ولكنه لم يستطع أن يخفي تعصبه فيما كتبه عن الشعر الجاهلي، وما أصدره من أحكام تناولت صحة هذا الشعر وانتحاله(١٤). وهناك عدد من المستشرقين لا يمكن أن يفصل نشاطهم العلمي في جوانب كثيرة منه عن التبعية والنزعة التعصبية، دينية كانت أو استعمارية، كالمستشرق الإيطالي "شيروللي" (١٨٩٨) Cerulli,Enrico، فقد شغل وظائف عدة في وزارة المستعمرات الإيطالية، ونائباً للحاكم العام في أفريقيا الشرقية (١٩٣٧-١٩٣٨م)، وعرف عنه ميوله السياسية الاستعمارية(١٥). وقد يطول بنا الأمر لو استرسلنا في هذا الجانب. ولايمكن لأي باحث أن يغفل الهدف الاقتصادي، عندما يبحث في أهداف المستشرقين ، بل يعد من أهم الأهداف، وقد تطور حتى أصبح يشكل قطب الرحى في العلاقات الدولية في زماننا هذا.

ولكن مايهم هذا البحث هو الهدف العلمي للمستشرقين، إذ يمثل الصورة المقبولة، والجهود الطيبة عندهم، فقد بذل كثير منهم من وقته وعلمه في دراسة تراثنا الإسلامي والعربي بشكل عام غير أن هذا البحث يقتصر على اهتمام المستشرقين بالشعر الجاهلي، ولعل في هذا مايميط اللثام عن موقفهم من هذا الشعر الذي يعد ديوان العرب، وليس لهم ديوان سواه كما ذكر ابن سلام الجمحي في معرض حديثه عن الرواية وصحتها.(١٦)

دراسات المستشرقين للشعر الجاهلي

إذا مـــا تجاوزنـــا هذه الافتراضات التاريخية لظهور الاستشراق، وأهداف المستشرقين الخاضعة للتبعـــية السياسة والاستعمارية في جوانب كثيرة منها إلى تلك الجهود المقدرة فيما يتصل بالشعر الجاهـــلي، واستعرضـــنا بعض الدراسات التي بذلها نخبة منهم حاولوا التجرد من الهوى والتعصب والإلتزام بالموضوعية، فبحثوا في هذا الشعر وأماطو اللثام عن كثير من جوانبه تحقيقاً ونشراً وجمعاً ودراســـة. في قت كانت البلاد العربية والباحثون العرب لايمتلكون من مقومات البحث العلمي والغـــوص في مكونـــات هذا الشعر مايمتلكه المستشرقون، فإنه لايجب أن تأخذنا العاطفة فنصادر جهـــود هؤلاء المستشرقين بحجة أهدافهم السياسية والاستعمارية. ووقوع أغلب البلاد العربية في مطلـــع العصـــر الحديث تحت وطأة الاستعمار الغربي، أو مايقال عنهم عند بعض الدارسين: بأنهم شوّهوا تراثنا الإسلامي عن قصد وغير قصد أو أن نقحم الدين في كل أعمالهم العلمية، فنظن أنهم جميعاً قد توافروا على هذه الأعمال العلمية بهدف ديني بحت، يتمثل في التبشير والتنصير، وما إلى ذلك من الأحكام التي قد تطلق جزافاً دون علم ومعرفة(١٧). كما أن عدم الموضوعية في دراسة الشعر الجاهلي عند بعضهم لايجب أن يمنعنا من الإشادة بمن أجاد منهم.

لقـــد تخلى عدد من المستشرقين عن التبعية بجميع أشكالها، وأهدافها، وعملوا بصدق للبحث العلمي، وغاصوا في كوامن التراث العربي بعيداً عن أي هدف يتعارض مع مهنية البحث العلمي، وخلق الباحث الصادق، وقد حظى الشعر الجاهلي بأهمية كبيرة عندهم، فقد بلغ من اهتمامهم بهذا الشـــعر أنهم نشروا وترجموا وحققوا مايربو على نصف الدواوين الجاهلية، ناهيك عن الدراسات والـــبحوث حول قصائد مفردة أوكتب معينة أو ظواهر محددة، وقد أدركوا أهمية هذا الشعر في وقـــت مـــبكر، فاهتموا به ودرسوه، ونشروا ماتمكنوا من الحصول عليه من مخطوطاته في مجلاتهم العلمـــية الـــتي أصـــبحت تربو على ثلاثمائة دورية ومجلة، تصدر في مختلف جامعاتهم ومعاهدهم وجمعياتهم(١٨). ويحسب لهم أنهم حافظوا على هذه المخطوطات من الضياع.

وعـــندما نتـــبع جهود المستشرقين في دراسة الشعر الجاهلي وتحقيقه فإننا نجد أن المستشرق النمساوي "رودلف جاير" Jeyer, Rudalf (١٨٦١-١٩٢٩) قد بذل جهوداً علمية مقدرة في هذا المجال، فقد حقق ونشر عدداً من الدواوين ومنها :

- ديوان الأسود بن يعفر ١٩٢٨م

- ديوان أوس بن حجر ١٨٩٢م
- ديوان الأعشى الكبير (الصبح المبني في شعر أبي بصير، مع ديوان الأعشيين سنة ١٩٢٨م
- ديوان سلامة بن جندل ١٩١٥م
- ديوان الشنفرى الأزدي ١٨٧٧م
- ديوان المسيب بن علس ١٩٢٨م

والتواريخ المشار إليها هنا ليست بالضرورة أن تكون تواريخ التحقيق، فقد تكون تواريخ النشر، سواء كان هو الذي نشرها أم أن غيره هو الذي نشرها بتحقيقه وجمعه، إحياء لذكراه، أو لذكرى علمية أخرى تقتضي مناسبتها نشر مثل هذه الدواوين.

كما أن لهذا المستشرق اهتماماً بدراسة بعض القصائد المفردة كقصيدتي الأعشى "مابكاء الكبير..." و "ودع هريرة..." وله كذلك "مشارف الأقاويز في محاسن الأراجيز" جمعها من أراجيز العجاج، ورؤبة، وذي الرمة، وجرير، والشماخ، وغيرهم. وعلق عليها بالألمانية. وله غير هذا مما يتصل بالشعر الجاهلي متناً وترجمة وتحقيقاً، ودراسة.(١٩)

وقد قام المستشرق الإنجليزي "كرنكوف" Krenkow, Fr بجهود كبيرة في نشر وتحقيق بعض الدواوين الشعرية والكتب ذات الصلة بالشعر الجاهلي من ذلك على سبيل المثال(٢٠).

- ديوان الحارث بن حلزة اليشكري، طبع المطبعة الكاثوليكية ١٩٢٢م بيروت
- ديوان عمرو بن كلثوم التغلبي ١٩٢٢م
- ديوان مزاحم العقيلي، متناً وترجمة انجليزية، ليدن ١٩٢٠م
- ديوان النعمان بن بشير الأنصاري، وفي ذيله ديوان بكر بن عبدالعزيز العجيلي عن مخطوط السلطان محمد الفاتح باستانبول.
- حماسة ابن الشجري متناً وترجمة ١٩٤٥م
- ديوان الطفيل الغنوي، وديوان الطرماح بن حكيم في مجلد واحد متناً وترجمة انجليزية، مع مقدمة وشروح واستدراكات وفهارس، ومعجم لمفرداتهما بالعربية والانجليزية، ليدن ١٩٢٨م
- كتاب الجمهرة لابن دريد في ثلاثة أجزاء، حيدر أباد ١٩٢٨م

- كتاب أخبار النحويين والبصرين للسيرافي، في ١١٦ صفحة، مع مقدمة وفهارس لأسماء الرجال والقبائل، والأماكن والكتب، الجزائر١٩٣٥م
- معجم الشعراء للمرزباني، نشره الشيخ أحمد محمود شاكر في القاهرة ١٣٥٤م
- المؤتلف والمختلف للآمدي، ومعه قطعة من معجم الشعراء للمرزباني (نشرة القاهرة ١٩٥٤م)

وكان "لكرنكوف" جهود كبيرة في دراسة التراث العربي،والإسلامي، والاهتمام به، ونشره في كتب مستقلة، أو على صفحات كبرى المجلات العلمية(٢١).

وإذا ذكر دور المستشرقين في دراسة ونشر وتحقيق الشعر الجاهلي. فإنه لايمكن تجاوز المستشرق الألماني "نولدكه" Noldeke, حيث قام بدور لاينكر في هذا الجانب، ومن أشهر أعماله.(٢٢):

- نشر ديوان قيس بن الخطيم
- ديوان لقيط بن يعمر ١٨٦٢م
- ديوان عروة بن الورد متناً وترجمة ١٨٦٣
- وفي سبيل فهم الشعر الجاهلي ١٨٦٤م
- المعلقات الخمس، ترجمة وشرحاً مع موجز لتاريخ الجاهلية، فينا ١٨٩٩-١٩٠٠م
- كَتَبَ عن أمية بن أبي الصلت، والسموءل- والشعر الجاهلي، ونشر هذه الكتابات في المجلة الآسيوية ١٩١٢-١٩٢١م وله دراسات حول ديوان معن بن أوس المزني، وديوان قيس بن الخطيم، وديوان عمرو بن قميئة، وديوان ذي الرمة، ولأمية العرب للشنفرى، وديوان أبي طالب، وجمهرة أشعار العرب للقرشي، وديوان طرفة بن العبد، وغير ذلك من البحوث والدراسات التي تتصل بالشعر، واللغة العربية، وبعض الدراسات الإسلامية، وعلم التاريخ وسواها(٢٣).

ويعد المستشرق الألماني "كارل بروكلمان" Brockelmmann,C من المستشرقين الذين اتصف نشاطهم العلمي بالغزارة والموضوعية، والعمق والشمول والخبرة، مما جعله مرجعاً لايمكن تجاوزه في الأدب العربي والتاريخ الإسلامي، حصل على الدكتوراه وكان عنوان بحثه "العلاقة بين كتاب الكامل في التاريخ لابن الأثير وبين كتاب أخبار الرسل والملوك للطبري" ستراسبورج

١٨٩٠م (٢٤) غـير أن نشاطه في مجال الأدب العربي بشكل خاص قد فاق التصور، ويعد كتابه "تاريخ الأدب العربي" من أهم المصادر في هذا السياق.

"ولبروكلمان" بحوث حول ديوان لبيد مترجماً عن طبعة فينا ومزوداً بالحواشي ١٨٩١م، وله رسـالة في لحـن العامة للكسائي مذيلة بشروح وفوائد نشرت في المجلة الآشورية العدد ١٣ عام ١٨٩٨م، وقـد نشر كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة في أربعة أجزاء (٢٥). كما نشر مقالة عن كتاب طبقات الشعراء لابن سلام الجمحي في مجلة الدراسات الشرقية "لنولدكه" ١٩٠٥م، ويمكن الاطلاع على جهود هذا المستشرق في مجال دراسة التاريخ والمخطوطات والأدب المقارن بالرجوع إلى ما كتبه "لجيب العقيقي" في كتابه "المستشرقون" عن "بروكلمان" وغيره.

وللمستشـرق الإنجليزي "السير تشارلز جيمس ليال" **Lyall, Sircharles, J** جهود واضحة في دراسة وتحقيق ونشر الشعر الجاهلي، وما يتصل بهذا الشعر من كتب قديمة، فقد حقق شـرح المعلقـات السبع للتبريزي (١٨٨١م) ، وأعد دراسة عن تراجم شعراء العرب القدماء، والشعر الجاهلي ١٨٨٥م، ونشر ديوان عبيد بن الأبرص، وعامر بن الطفيل بشرح ابن الأنباري متناً وترجمةً، كما نشر ديوان عمرو بن قميئة، والمفضليات للمفضل الضبي، بشرح ابن الأنباري، كذلك وصنع فهارس في ثلاثة أجزاء (المطبعة الكاثوليكية بيروت ١٩٠٨م)

وقـد نشر عدداً من البحوث في مجلة الجمعية الملكية الآسيوية، منها مايتعلق بالشعر الجاهلي، ومـنها مايتعلق بالدراسات الإسلامية والتاريخية، ومن تلك البحوث "الوصف في الشعر الجاهلي" ١٩١٢م و"الشعر الجاهلي مرجع للمعلومات التاريخية" ١٩١٤م و"صلات الشعر الجاهلي بالأدب الـيهودي والـتوراة" ١٩١٤م و"شـعر تأبط شراً، الشاعر الصعلوك" ١٩١٨م، وله دراسات وبحوث متعددة في مجال الدراسات الإسلامية والعربية(٢٦).

وقام المستشرق الفرنسي " أرمان كوسن دي برسفال" **Caussinde Perceval** بتحقيق ديوان المتلمس الضبعي ونشره في المجلة الآسيوية ١٨٤١م، وديوان طرفة بن العبد ونشره كذلك في المجلـة الآسيوية ١٨٤١م، وحصل المستشرق الألماني "فاندينوف" **Vandenhoff,B.** على درجة الدكتوراه عن رسالته التي قدمها في ديوان طرفة بن العبد بجامعة برلين ١٨٩٥م(٢٧).

وتم تحقيق ديوان الهذليين على يد كل من المستشرقين الألمانيين "فللهوزن" ١٨٤٤-١٩١٨م **Wellhausen, J** و "ياكوب بارت" ١٨٥١-١٩١٤م **Basset, Rene** ونشر في المجلة

الآشورية ١٩١٢م بمساعدة المستشرق الألماني "يوهان كوزغارتين ١٧٩٢-١٨٥٠م Kasegarten, J.g.L (٢٨)

وللمستشرق "رينيه باسيه الفرنسي" ١٨٥٥-١٩٨٤م Basset,Rene جهوده في تحقيق ديوان عروة بن الورد، وقد نشره في مجلة الدراسات الشرقية ١٩٢٦م (٢٩). ونقد المستشرق الروسي "سينكوفسكي" ١٨٠٠-١٨٥٨م Enko wski ديوان لبيد بن ربيعة العامري، ونشر "بروكلمان" جزءًا منه، ونشر المستشرق النمساوي "كريمر" ١٨٢٨-١٨٨٩م Kremer Alfered,Von الجزء الثاني فينا ١٨٩١م(٣٠)، وحظي ديوان علقمة الفحل بتحقيق المستشرق الألماني "فيستنفيلد" ١٨٠٨-١٨٩٩م. Wustenfeld, F (٣١) ليدن ١٨٥٨م، وكان المستشرق الألماني "الورد،فيلهلم" ١٨٣٨-١٩٠٩م .Ahlwardt, W قد قام بجهود كبيرة في نشر وتحقيق الشعر الجاهلي، ومن أعماله تحقيق ديوان الطهمان الكلابي، ونشر العقد الثمين في دواوين الشعراء الستة الجاهليين، وقصيدة تأبط شراً، إضافة إلى صناعة فهرس المخطوطات العربية في مكتبة برلين الوطنية في عشرة مجلدات، فقد وصف مايربو على عشرة آلاف مخطوط عربي تحوي كنوز الثقافة العربية وغير ذلك(٣٢).

وقد قام المستشرق الألماني "هيل، ج" ١٨٧٥-١٩٥٠م .Hell, J بنشر ديوان أبي ذؤيب الهذلي ١٩٢٦م كما نشر بعض أشعار الهذليين في جزءين ١٩٢٦-١٩٣٣م واشتملت على شعر أبي ذؤيب، وساعدة بن جوءية، وأبي خراش، والمنتخل، وأسامة بن الحارث، والعباس بن الأحنف وغير ذلك(٣٣). كما أن المستشرق الألماني "توربكة" ١٨٣٧-١٨٩٠م Thornecke, قام بنشر الجزء الأول من شرح المفضليات لابن الأنباري مع شرح المرزوقي عن مخطوط برلين ١٨٨٥م، وقد أكملها "تشارلزليال" ونشرها برمتها في أكسفورد ١٩٢١م (٣٤) وقد حظيت لامية الشنفرى بنصيب كبير من اهتمام الدارسين المستشرقين، ومنهم "جورج يعقوب"، الذي ألف فيها، وقسم موضوعاتها، ودرس جملة الشعر الجاهلي (٣٥).

ويعد المستشرق الإنجليزي "السيرهاملتون جيب" ١٨٩٥-١٨٧١م Gibb,Sir Hamiltan من أعلام المستشرقين، وأكثرهم اهتماماً بالتراث العربي والتاريخ الإسلامي، كما أنه يعتبر خليفة "مرجليوت" في أكسفورد ١٩٣٧-١٩٥٥م وهو عضو المجمع العلمي في دمشق والمجمع اللغوي في القاهرة عندما أسّس، درس ديوان الحماسة لأبي تمام،

والمعلقـــات السبع، كما أنه عين أستاذاً للغة العربية في جامعة لندن ١٩٣٠-١٩٣٧م، واجتمع بكبار أدباء العرب، وقرأ مصنفاتهم(٣٦).

ولقـــد تنوعـــت دراســـات المستشرقين -كما رأينا- بين دراسة دواوين بأكملها، أو مجاميع شـــعرية، أو قصـــائد مفردة، أوكتب أدبية ذات علاقة بالشعر الجاهلي. وقد رأينا دور المستشرق الألماني "زرستين" في دراسة قصيدتين للشاعر "سحيم عبدبني الحسحاس"، ودرس "توربكه" الألماني قصـــيدة للأعشى في مدح النبي محمد - صلى الله عليه وسلم- ودرس "جويدي الإيطالي" قصيدة لعمرو بن معديكرب الزبيدي(٣٧).

ولم يقتصـــر دور المستشرقين على دراسة الدواوين الشعرية لشعراء العصر الجاهلي، أو نشر بعـــض الدواوين والقصائد، وجمع المخطوطات من هنا وهناك، والمحافظة عليها وترميمها وحفظها، ولكنهم اشتغلوا بالتأليف فيما يمكن أن يكون نافعاً مفيداً، فقد سجلوا كثيراً من ملاحظاتهم النافعة حول لغات الشرق وآدابه، ولم تسلم جهودهم جميعاً من الانحراف والشطط فمنهم -كما رأينا من قـــبل- مـــن تطرق إلى قضايا أدبية ذات أهمية في تراثنا الأدبي القديم مثل قضية الانتحال، ومادار حولها من نقاش، وما يتعلق بالرواة، والرواية والكتابة عند العرب في العصر القديم(٣٨).

وقد ذكرت بعض الدراسات في إحصائياتها أن المستشرقين ألفوا مايربو على ستين ألف كتاب، تناولوا فيها تاريخ الشرق وآدابه وثقافته منذ العصر القديم وحتى تاريخ إعداد تلك المؤلفات(٣٩).

وكانـــت جهود المستشرقين متألقة -كما ذكرنا من قبل- في أوائل القرن التاسع عشر وربما من بدايـــة القـــرن الـــثامن عشر إلى نهاية القرن العشرين. وتنوعت مؤلفاتهم فضلاً عن التحقيق ونشر المخطوطـــات بين الدراسات اللغوية والأدبية، وكتابة المقالات وتأليف الكتب، وانصب تركيزهم في جانب كبير منه على تاريخ الأدب العربي، فألفوا فيه، كما اهتموا بالمعاجم والقواميس اللغوية(٤٠).

ومع هذا كله، فإنه لايمكن أن نسلم بأن المستشرقين هم وحدهم الذين درسوا الشعر الجاهلي تحقيقاً ودراسة وجمعاً ونشراً، فإن من علمائنا قامات أدبية كان ولايزال لها جهودها في هذا المجال، وهي جهود مشكورة ومقدرة نقف لها إجلالاً وتقديراً من أمثال العلامة المحقق محمود محمد شاكر، وأخـــيه أحمد شاكر، وسيد صقر، وعبدالسلام هارون، وحسن الصيرفي، ومحمود الطناحي، وأبو الفضـــل إبراهيم وغيرهم من العلماء من مختلف الأقطار العربية. ندعو لمن مات منهم بالرحمة ولمن بقـــي بالتوفـــيق والصحة، فقد جادوا لنا بكل ثقة بدراسات وتحقيقات وتأليفات يقصر عنها باع

المستشـــرقين مهمـــا كـــانوا، ولكننا نقدر لهؤلاء المخلصين جهودهم، كما نقدر للمستشرقين في دراساتهم ممن ابتعدوا عن الأهداف المنحرفة وتجردوا للبحث بموضوعية وصدق .

الهوامش

(١) مـــناهج البحـــث في الأدب واللغة والتربية، د. السيد محمد الديب، مكتبة الآداب ٢٠٠٠م القاهـــرة ص:٩٥، وانظـــر كذلك الأدب الجاهلي في آثار الدارسين قديماً وحديثاً، د. عفيف عبدالرحمن، دار الفكر، عمان (د.ت) ص:٢٧ .

(٢) الاستشـــراق والخلفـــية الفكرية للصراع الحضاري، د. محمود حمدي زقزوق، مطابع الدوحة ١٤٠٤ ص:١٨، وانظر مناهج البحث في اللغة والأدب ص:٩٥-٩٦.

(٣) الأدب الحديث ومدارسه، د.محمد عبدالمنعم خفاجي، دار الطباعة المحمدية، ص٣١٨ .

(٤) هناك أكثر من (٥٦) جامعة أو معهد تعلم معظم اللغات الشرقية، ومن أشهر هذه الجامعات، جامعـــة أكســـفورد (١١٦٧م) حيث خصت اللغة العربية، والعبرية، والكلدانية، والسريانية بأول كرسي فيها، استجابة لقرار البابا "أكليمينفن الخامس" في مجمع فينا ١٣١١-١٣١٢م، ثم أنشـــأ كبير الأساقفة كرسياً للغة العربية في الجامعة نفسها ١٦٣٦م وفي مطلع القرن الثامن عشـــر أضيف إليه كرسي آخر، وزاد الاهتمام في هذه الجامعة باللغة العربية، وألسنية اللغات الســـامية والدراسات الإسلامية، وتاريخ الشرق الأدنى الحديث والفلسفة العربية. يراجع في هـــذا الخصوص كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي، طبعة دار المعارف الطبعة الرابعة، ٦/٢، ٣،٢٦٥، ١١/١٧٣، ٣٧، ٥٣، ١٢٠، ٢٢٦، ٢٣٨، ٣٩١ .

(٥) يراجع الأدب الأندلسي من الفتح إلى سقوط الخلافة، د.أحمد هيكل، دار المعارف (ط.١) ص ٣١٦-٤٢٢ .

(٦) الأدب الجاهلي في آثار الدراسين قديماً وحديثاً، ص٢٧

(٧) يراجع ترجمة ونشاط هذا المستشرق في كتاب "المستشرقون" لنجيب العقيقي ١/١٦٢-١٦٥.

(٨) مناهج البحث في الأدب واللغة ص ٩٦ .

(٩) الاستشـــراق والمستشـــرقون د. مصطفى السباعي، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت (د.ت) ص ١٦ .

(١٠) المصدر السابق ص ١٧-١٨

(١١) أدوارد هنري بالمر (١٨٤٠ - ١٨٣) ولد في كمبريدج، وكان منذ طفولته مولعاً بتعلم اللغات، ولما تعلم اللغة العربية اخذ ينقل طائفة من الأشعار الإنجليزية إليها، وكان له نشاط سياسي في البلاد العربية بالإضافة إلى نشاطه العلمي يراجع "المستشرقون" نجيب العقيقي ٦٥/٢ وما بعدها .

"أوجيست موللر" ولد في ديساو، وتخرج باللغات الشرقية على "فلايشرليبزيج" ورحل إلى برلين وباريس وإنجلترا، ثم علم العربية في جامعة فينا، وأنشأ دورية بعنوان: المكتبة الشرقية في برلين (للناشرين رويتر وريتشرد ١٨٨٧)

"هنري إدوارد بالمر" ولد في كمبريدج، وكان منذ طفولته مولعاً بتعلم اللغات، وله قدرة عجيبة على إتقانها، لما أجاد اللغة العربية أخذ ينقل طائفة من الأشعار الإنجليزية إليها، ثم شغل بقرض الشعر العربي، ثم انتظم في جامعة كمبريدج لمتابعة دراساته الشرقية (١٨٦٣م) ووضع فهرس المخطوطات الشرقية، ارتاد صحراء سيناء وصحراء التيه واتصل بالبدو وتضلع من لهجاتهم وعاداتهم، وعرف بينهم بالشيخ عبدالله، يعد من قلائل الإنجليز الذين تغلغلوا في صميم اللغة العربية، واستطاع أن يكتب بها وينظم في سهولة ويسر كأحد أصحابها.

"جريمه،هـ . (١٨٦٤-١٩٤٢)" أستاذ الدراسات واللغات الشرقية في مونستر، له ترجمة وافية بقلم المستشرق "تايشنير" في المجلة الشرقية الألمانية ١٩٤٢م.

"وليم رايت (١٨٦٤-١٩٤٢)" ولد في البنغال، وكان والده قائداً في الجيش البريطاني، ووالدته ابنة الحاكم، خبيرة بعدة لغات شرقية، فشجعته على تعلمها فدرسها في أسكتلندا، وفي ليدن على يد المستشرق "دوزي" ثم عين أستاذاً للغة العربية في جامعتي لندن (١٨٥٦) ودبلن (١٨٥٨) وحصل على درجة الدكتوراه في الحقوق والفلسفة من جامعة كمبريدج (١٨٧٠) وظل أستاذاً حتى وفاته .

يراجع العقيقي ٢/٤١٤،٣٩١،٦٥،٦٢

(١٢) المصدر السابق ١/٤٤٦

(١٣) المصدر لاسابق ٣/١٣٨

(١٤) مـناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، من بحـث للدكـتور مصـطفى هـدارة بعنوان "موقف مرجليوث من الشعر العربي" ٣٩٦/١ ومابعدها.

(١٥) المستشرقون ٤٤٧/١ وما بعدها .

(١٦) طبقات فحول الشعراء، تحقيق محمود شاكر، طبعة المدني، القاهرة ٢٤/١ (د.ت)

(١٧) أنظر مناهج المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية ٣٢٠/٢

(١٨) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٢٨، وقد أورد أن أبرز مظاهر الاستشراق تتمثل في إنشاء الجمعيات العلمية لمتابعة الدراسات الاستشراقية، وذكر من هذه الجمعيات:

- الجمعية الآسيوية بباريس ١٨٢٢م
- الجمعية الملكية الآسيوية في بريطانيا، وإيرلندا ١٨٢٣م .
- الجمعية الشرقية الأمريكية ١٨٤٣م .
- الجمعـية الشـرقية الألمانية ١٨٤٥م . وذكر من المجلات التي تعني بنشر التراث والدراسات الشرقية
- مجلة ينابيع الشرق التي أصدرها المستشرق "بورجيشتال" في فينا سنة ١٨٠٩م
- مجلة الإسلام بباريس ١٨٩٥م.
- مجلة العالم الإسلامي التي صدرت عن البعثة العلمية الفرنسية في المغرب ١٩١٦م.
- مجلة الإسلام في المانيا ١٩١٠م
- مجلـة عالم الإسلام في روسيا ١٩١٢م، واصدرها المستشرق "صمويل زويمر" وغير ذلك من الاصدارات التي قد يطول المقام بذكرها.

(١٩) ولد المستشرق "جاير النمساوي" ١٨٦١م وتوفي ١٩٢٩م، وتخرج على المستشرق "موللر" وعـين أسـتاذاً للعربية في جامعة "كاكوفيا" في بولونيا ترجمته بقلم "براو" في المجلة النمساوية للدراسات الشرقية ١٩٢٩م

(٢٠) ولـد في شنبرج بشمالي ألمانيا ١٨٧٢-١٩٥٣م، وأتقن اللغات الأوروبية وتعلم الفارسية، نـزح إلى انجلترا، وتجنس بالجنسية الإنجليزية، حثه المستشرق الكبير "السير تشارلزليال" على

التضلع من العربية والفارسية والأوردية، يقال عنه إنه اعتنق الإسلام، وأنه سمى نفسه محمداً. يراجع في ترجمته وآثاره العلمية "العقيقي" ٢/٩٧ وما بعدها.

(٢١) المصدر السابق ٢/٩٢

(٢٢) ولد في هامبورج (١٨٣٦) وأطلق أسمه على أحد شوارعها، تعلم اللغات السامية والفارسية، والتركية، والسنسكريتية، ونال الدكتوراه، كما نال عدداً من الجوائز، عين أستاذاً للغات السامية والتاريخ الإسلامي في جونتجين ١٨٦١م، ثم أستاذاً للغات الشرقية في ستراسبورج، فجعلها مركزاً للدراسات الشرقية في المانيا. يراجع تاريخه وآثاره في "العقيقي" ٢/٣٧٩-٣٨٢ .

(٢٣) المصدر السابق ٢/٨١-٨٣

(٢٤) ولد "بروكلمان" في رستوك ، وتخرج في اللغات السامية على أعلام المستشرقين ومن أشهرهم "نولدكه" وقد اشتهر "بروكلمان" في فقه العربية، والتاريخ الإسلامي، وكان ضليعاً في تاريخ الأدب العربي، عين أستاذاً في عدد من الجامعات الغربية، كما عين عضواً في عدد من المجامع اللغوية، يعد من أشهر المستشرقين في غزارة الإنتاج العلمي في الدراسات العربية. يراجع المصدر السابق ٢/٤٢٤-٤٣٠ .

(٢٥) نشر الجزء الأول منها في برلين سنة ١٩٠٠م وفي ستراسبورج نشر الأجزاء الثلاثة الأخرى في ١٩٠٣، ١٩٠٦، ١٩٠٨ . العقيقي ٢/٤٢٥

(٢٦) يراجع ترجمته وآثاره في "المستشرقون" ٢/٦٨ وما بعدها.

(٢٧) الأدب العربي في آثار الدارسين ٣٠

(٢٨) المصدر السابق ٣٠-٣١، والعقيقي ٢/٣٦٠- ٣٦١- ٣٨٦- ٣٨٧ .

(٢٩) يراجع ترجمة هذا المستشرق وأخباره في العقيقي ١/٢١٦-٢١٨

(٣٠) يراجع ترجمة هذا المستشرق الروسي "سينكو فسكي" في العقيقي ١/٥٥ ومابعدها.

(٣١) العقيقي ٢/٣٦٧-٣٦٩

(٣٢) يراجع أخبار هذا المستشرق وأثاره العلمية في "العقيقي" ٢/٣٨٣

(٣٣) المصدر السابق ٢/٤٣٧

(٣٤) المصدر السابق ٢/٣٨٢

(٣٥) نشـــيد الصحراء لشاعر الأزد "الشنفرى" د. محمد بديع شريف، منشورات دار مكتبة الحياة بـــيروت (د.ت) ص:٧ وقـــد تابع دراسة هذه القصيدة كل من المستشرق "ياكوب الألماني" و"جـــيمس هـــاوس الانجلـــيزي" و "ســـاســـي الفرنسي" و "فايل الألماني" و "وهامر الألماني" و"روكهارت" وغيرهم. يراجع الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٣٣ .

(٣٦) تراجع سيرة هذا المستشرق، وأخباره في العقيقي ١٢٩/٢- ١٣١ .

(٣٧) الأدب الجاهلي في آثار الدارسين ٣٣ .

(٣٨) مناهج البحث في الأدب واللغة ١١٧ .

(٣٩) المصدر السابق ١١٨- ١٢٠ .

(٤٠) حظي تاريخ الأدب العربي باهتمام عدد من المستشرقين، فألفوا فيه وكان من أشهر من تطرق إلى هذا الموضوع وتناوله بالتأليف كل من :

- المستشرق "كارل بروكلمان" في كتابه المفيد "تاريخ الأدب العربي".
- تاريخ الأدب العربي، لبلا شير، ترجمة إبراهيم الكيلاني.
- تاريخ الآداب العربية، للمستشرق الإيطالي "كارلو نللينو"
- دراسات في الأدب العربي، للمستشرق "هاملتو جيب"

وغـــير ذلـــك من الدراسات المتعلقة بهذا الموضوع. يراجع في هذا الشأن مناهج البحث في الأدب واللغة ١١٨ .